مجلة كلية

الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة

العدد السابع
1990 م

- واقع البحث العلمي ومشكلاته
- قصة دخول الإسلام إلى رواندا
- صورة المسيحية في دراسات غربية
- مفاهيم أساسية في فكر مالك بن نبي
- التراث الإسلامي والاستشراق

الثقافة والحضارة

الدكتور: أحمد بن نعمان
الجمهورية الجزائرية

تعتبر كلمة حضارة، من الألفاظ اللغوية الأكثر شيوعاً في الاستعمال لدى الكتاب والمفكرين في عصرنا الحاضر.. غير أن الغموض الذي يحيط بمدلولها لدى هؤلاء الكتاب يجعلها بعيدة عن أن يكون لها معنى واحد محدد، ولذلك رأينا أن نفصل القول حول الأصول اللغوية، والتاريخية، والإجرائية لهذه اللفظة لنتبين مختلف أوجه الاستعمال لهذه الكلمة بهدف التوصل إلى رفع اللبس وتحديد مجالات التداخل (في الاستعمال) بين الثقافة والحضارة، والتحضر...

أولاً:

توجد معان كثيرة لكلمة حضارة في اللغة العادية، والكتابة، والعلوم الإنسانية والاجتماعية على اختلافها، ولا يوجد معنى واحد منها قد بلغ إلى الدرجة النهائية التي تجعله متفقاً عليه لدى الجميع. أما معنى الحضارة في العلوم الاجتماعية ـ وهو ما يهمنا تحديده ـ فإننا لو استعرضنا معنى الحضارة في هذا المجال نجدها تنقسم في عمومها إلى مفهومين:

(أ) المفهوم الأول يتمثل في أن الحضارة هي شكل من أشكال الثقافة.

وفي داخل هذا الاستخدام العام لكلمة حضارة في العلوم الاجتماعية نجد ثلاثة استخدامات فرعية مختلفة لهذه الكلمة:

1 ـ استخدام كلمتيْ حضارة، وثقافة بمعنى واحد، أي مترادفين.

2 ـ الحضارة هي الثقافة، حين تتعقد الثقافة وتتميز بخصائص معينة.

3 ـ الحضارة هي الثقافة حين تصل الثقافة إلى درجة من الرقي بحيث يمكن قياسها بمقاييس خاصة.

(ب) أما المفهوم الثاني فيقوم على **مقابلة الحضارة بالثقافة**. فالثقافة تنكمش حتى تصير معبرة عن مجرد تلك الأفكار والمبتدعات الإنسانية، المتعلقة بالأساطير، والدين والفن والأدب.. على حين أن الحضارة تدل على المبتدعات الإنشائية المتعلقة بمجال العلوم المادية والتكنولوجيا..

ثانياً:

كان الأوائل من علماء الانثروبولوجيا الثقافية يذهبون إلى مساواة الثقافة بالحضارة.. فالعلامة (تايلور) بالرغم من تردده ـ بعض الشيء ـ في تحديد مدلولهما فهو يقرر بأن الثقافة والحضارة هما لفظان لمدلول واحد، ويعني هذا المدلول: ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة، والمعتقدات والفن، والأخلاق، والقانون، والعادات وأية قدرات أخرى يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع[1] ولا شك ـ كما نرى حسب هذا التعريف ـ أن الحضارة هي عينها الثقافة لأنها ليست إلا من منتجات الأفراد من حيث هم أعضاء في المجتمع، ونفس هذا المفهوم نجده عند (دور كايم)، وجميع رجال مدرسته فيما بعد، حيث ورد في مادة حضارة (في الموسوعة الفرنسية) على لسان (دور كايم وموبس) أن ثمة نوعاً من الظواهر الاجتماعية التي

---

(1) أنظر تعريف تايلور للثقافة في الفصل الرابع من الباب الأول من كتاب المؤلف: التعريب بين المبدأ والتطبيق، طبع في الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر 1981.

«ليس لها إطار واضح، ولا محدود تنتقل عبر الحدود السياسية من مجتمع إلى آخر، وتنتشر في مناطق لا يستطاع تحديدها بسهولة» ويعني بهذه، الظواهر بعض ظواهر الثقافة أو الحضارة التي تنتشر في عدة مجتمعات وتتطور على مر فترات تاريخية واسعة تتعدى تاريخ وحدود مجتمع بذاته، وهي تحيا حياة فوق مستوى الحياة القومية[2]، **فلفظ الحضارة والثقافة في هذه المدرسة متحدان، ومن ذلك أننا نجد في الكتابات الفرنسية كلمة مثقف ومتحضر، تعني مدلولاً واحداً.**

ثالثاً:

بعد أن كان مدلول الحضارة والثقافة واحداً لدى الانثروبولوجيين، وعلماء الاجتماع الأول. . . بدأت مرحلة جديدة في استخدام اللفظين، فذهب فريق إلى أن الحضارة هي شكل من أشكال الثقافة يختلف نوعاً وكيفاً عن الأشكال الأخرى وهو معنى ما يزال متداولاً حتى الآن. . . ويرجع في تاريخ استخدامه إلى تأثر العلماء بما أحدثته الاكتشافات العلمية في القرن الماضي من تقدم في مجال الحياة الفردية والاجتماعية.

وقد كانت الحضارة عندهم تعني التحضر والتمدين (من الحضر، والمدينة) وهي مجموعة من القيم والنماذج التي تحققها الإنسانية في تطورها، ومجموعة من الأنماط الاجتماعية والأخلاقية، والصناعية التي يحققها المجتمع للوصول إلى السعادة الإنسانية. . فيقول (كوندرسه)[3] «إن الحضارة عبارة عن اختفاء الحروب، والاستعمار، والرق والبؤس» ويقول (جيزو): «إن الحضارة عبارة عن سيادة امبراطورية العقل الخالدة على العالم»[4] وذهب بعض هؤلاء العلماء من هذا المنطلق إلى أن الحضارة خاصة بالمجتمعات الغربية الأوروبية نظراً لتقدمها العلمي والتكنولوجي، وأطلقوا على شعوب أوروبا الغربية اسم «المجتمعات المتحضرة» في مقابل ما عداها من المجتمعات والشعوب التي كانوا يطلقون عليها «المجتمعات

(2) أنظر تحديدنا لمعنى القومية، من المرجع السابق ذكره ص 241.
(3) معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ص 232.
(4) نفس المرجع السابق.

المتخلفة، أو البربرية، أو غير المتحضرة..» ويعتمدون في تقسيماتهم على معيار التقدم العلمي والتكنولوجي الذي أحرزت عليه هذه الشعوب دون تلك..

رابعاً:

ثم جاء علماء القرن العشرين ففرقوا بين الحضارة والثقافة دون إصدار أحكام قيمية على شعوب متحضرة، أو بربرية: (غير متحضرة) إذ لكل شعب حضارته بدائياً كان أو متطوراً، ولكل معايير علمية وتكنولوجية خاصة به.. **والثقافة لدى هذا الفريق من العلماء تعني النواحي الأخلاقية والروحية في حياة المجتمع، أما الحضارة فتعرف بمعايير خاصة كاكتظاظ المدن بالسكان ووجود صناعات، وحرف معقدة تقوم على التخصص الدقيق ووجود أنواع مختلفة من الصناع والتجار، والفنانين وضرب من التركيز الملائم للسلطة السياسية والاقتصادية، والاستعانة برموز لتسجيل الأخبار ونقلها.. ولقياس الوزن والأمكنة، والوقت، ويذهب أصحاب هذا الفريق من علماء الاجتماع والانثروبولوجيا إلى ربط فكرة الحضارة ـ خاصة ـ بتطور المجتمع العلمي والتكنولوجي ولكنهم يقرون** ـ في نفس الوقت ـ بما لهذا التطور من أثر في المجال الثقافي، ففي انتشار العلم والتكنولوجيا مثلاً، ما يصرف الناس ـ المتعلمين على الأقل ـ عن التعويل على السحر والشعوذة.

وهناك فريق آخر من العلماء يفرقون بين الثقافة والحضارة لا على أساس النوع **والكيف بل على أساس الكم**، حيث يرون أن الحضارة **شكل معقد من أشكال الثقافة**، ففي هذا يقول العالمان (بيلز وهويجر): «ان الحضارات كلها قديمها وحديثها، والسائد منها اليوم ليست إلا حالات خاصة من الثقافة، تتميز بكمية مضمونها وتعقد أنماطها، ولكنها لا تختلف من الناحية الكيفية أو النوعية، عن ثقافات من يسمون بالشعوب غير المتحضرة»[5].

خامساً:

وثمة فريق آخر من العلماء يفصلون الحضارة عن الثقافة فصلاً تاماً[6] فهم

(5) بلز وهويجر، مقدمة من علم الانثروبولوجيا.

(6) د. صوفي أبو طالب، المجتمع العربي، دار النهضة العربية بمصر 1970، ص 68-69.

يقصرون معنى الثقافة على النظم الاجتماعية، والمعايير التي تعبر عن (حياة) الجماعة الروحية، **كالدين والأدب والفن والغايات الأخلاقية العليا، أما الحضارة فتنصب على المظاهر المادية، والميكانيكية التي ابتدعها الإنسان في محاولة لضبط ظروف حياته، وهذا هو المعنى** الذي ظل سائداً عند العلماء الالمان (على عكس بعض الفرنسيين والإنجليز..) **والحضارة بالمعنى الالماني هي ما يطلق عليه غيرهم لفظ الثقافة المادية**[7]. وكل العلماء الفرنسيين والإنجليز والعرب الذين يفصلون بين مفهوم الحضارة ومفهوم الثقافة هم متأثرون أساساً بالمدرسة الالمانية وعلى رأس علمائها الذين كانوا يفرقون تفرقة دقيقة بين كلا المجالين: (الحضاري والثقافي) يأتي (الفريد ويبر) **الذي أنشأ علماً خاصاً لدراسة مجال الحضارة ومجال الثقافة** سماه (علم الاجتماع الثقافي) حيث يذهب فيه **إلى أن الحضارة تنبني على العقل وتنتقل نماذجها بسهولة من مجتمع لآخر، أما الثقافة فأساسها العاطفة والقيم الروحية وهي متحررة من العقل** - إلى حد ما - وتعبر عن روح الجماعة التي تنشأ بها هذه الثقافة، وهي تقوم على الكمال الروحي والكمال العاطفي للإنسان[8].

وبالنسبة لهذا الخلط في الاستعمال بين كلمة (ثقافة) وكلمة (حضارة) وكلمة (مدنية) يقول أحد الباحثين (يكثر استخدام كلمة (Culture) بمعنى الحضارة أو الثقافة. وقد ذهب بعض المفكرين إلى أن كلمة «حضارة» هي ترجمة لكلمة Civilisation، وكلمة (ثقافة) هي ترجمة لكلمة Culture.

وهناك من نظر إلى كلمة (civilisation) بمعنى المدنية، والمدنية تدل على مرتبة من مراتب الحضارة، وأن كلمة Culture تعني الحضارة أو الثقافة، **بحيث إن الثقافة تؤكد على العناصر المعنوية كالآراء والمعتقدات، على حين تؤكد الحضارة على العناصر المادية وهكذا تكون كلمة الثقافة دالة على الجانب الفكري، والحضارة دالة على الجانب المادي.**

والنظرة الانثروبولوجية للمدنية تذهب إلى أن المدنية Civilisation لا تختلف في

---

(7) ارجع إلى الفصل الثاني والثالث من كتاب: التعريب بين المبدأ والتطبيق، مرجع سبق ذكره.
(8) د. حسين سعفان، الموجز في تاريخ الحضارة، القاهرة 1951.

النوع عن الحضارة، وإنما هي عبارة عن فترات أو أجزاء معينة من الحضارة تتميز بالكم وبدرجة التعقيد.

ومن الملاحظ أن كثيراً من الانثروبولوجيين من أمثال «ردفيلد» R. Radfield، (كلوكهون) Kluckhon، (ورادكليف براون) B. Radclife وغيرهم يرون أن الحضارة وإن كانت شيئاً معنوياً غير ملموس فمن الممكن تجريدها من التصرفات والأشياء الملموسة، بمعنى أن الحضارة شيء لا يمكن ملاحظته بطريقة مباشرة، وإنما تكون هذه الملاحظة من خلال ما يفعله أو ما يقوله الناس، ومن خلال العمليات والوسائل التي يتبعونها في صناعة واستخدام الأشياء المادية، وبحيث تخرج بقيم أو مثل بذاتها تختفي وراء تصرفات الناس.

كذلك نجد أن كثيرين من علماء الانثروبولوجيا يستعملون اصطلاح **الثقافة للدلالة على كل ما صنعه الإنسان أينما وجد، وبهذا فإن الثقافة عندهم تعني مجمل التراث الاجتماعي «Social Heritage»**[9].

وعن رفض هذا النوع من التفريق بين الثقافة والحضارة (من حيث الموضوع) يقول باحث آخر: **«والواقع أن هذه التفرقة بين الثقافة والحضارة لا تقوم على أساس مقبول. لأن المظاهر الثقافية المادية والمعنوية تتضافر جميعاً في خلق النظم والتنظيمات الاجتماعية التي تعتبر قلب الثقافة... ومن الملاحظ أن هناك تجاوباً بين الناحيتين الروحية والمادية في المجتمع فالقطعة الموسيقية أو اللوحة الزيتية أو القصيدة الأدبية أو النظرية الفلسفية، وهي كلها** من مظاهر التراث الثقافي، ليست لها قيمة في ذاتها ما لم تحقق مطالب اجتماعية، وما لم تعبر عن مشاعر وأحاسيس اجتماعية وتترجم عن رغبات وأمان جمعية. والعلم نفسه يفقد قيمته الموضوعية ما لم يرتبط بعقل الجماعة ويؤدي وظيفة اجتماعية، لأن هذه الأمور لا تعتبر غاية في ذاتها ولا تطلب لأغراض خاصة في طبيعتها، إذ هي من وحي المجتمع ومن خلقه وتنعكس فيها أضواؤه واتجاهاته. وما

(9) د. أحمد كمال وآخرون، دراسات في علم الاجتماع، 1974. دار الجيل للطباعة والنشر ص 26، وللاستفادة أكثر راجع الدكتور عبد الحميد لطفي: الانثروبولوجيا الاجتماعية ص 51. وكذلك الدكتور أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع، الدار القومية للطباعة والنشر الجزء الأول ص: 186.

يقال عن هذه المظاهر الروحية والمعنوية يقال كذلك عن المظاهر المادية والصناعية، فالسيارة والراديو والتلفزيون وما إليها كانت قبل خروجها إلى ميدان التطبيق العملي أفكاراً أو نظريات تعبر عن مبلغ الحاجة الاجتماعية إليها ومبلغ الضرورة التي توحي بها»[10].

وعن أسباب هذا اللبس في الاستعمال بين الثقافة والحضارة يضيف: «ويبدو أن السبب في هذه التفرقة يرجع إلى اللبس والغموض اللغوي، **فكلمة ثقافة تستعمل استعمالاً دارجاً للتعبير عن الدراسات الأدبية والنظرية والعقلية والفلسفية، أي أنها تنطوي على كل الأمور المعنوية والروحية، وكلمة حضارة تستعمل بصفة عامة للدلالة على الوسائل التي بفضلها** وصلت الإنسانية إلى التحضر، فالتنظيمات الاجتماعية والأجهزة ووسائل الكشف العلمي والمخترعات وما إليها من الأمور التي ابتدعها الإنسان في تطوره وفي ارتقائه مدارج الحضارة كلها. مظاهر حضارية، ولذلك ارتبطت الثقافة بالناحية المعنوية والروحية، وارتبطت الحضارة بالمسائل المادية التي أدت إلى الاستقرار والرفاهية العامة»[11].

ومن الباحثين الذين حاولوا التفريق بين مفهوم (الثقافة) ومفهوم (الحضارة) هو الدكتور حسين مؤنس في كتابه (الحضارة) حيث يقول ما نصه «لكي نفهم المراد بالثقافة نقول إن لكل بلد في بلاد الدنيا نصيباً من العلم والفن، فأما العلم أو العلوم فلا تختلف من بلد إلى بلد، فعلم الطب في إنجلترا هو نفس علم الطب في فرنسا ومصر والكويت والمكسيك. وربما كان هناك خلاف في مستويات العلوم بين شتى البلاد، ولكن صميم العلوم واحد وقواعدها واحدة، والطبيب

---

(10) د. أحمد كمال وآخرون، مرجع سبق ذكره ص 27 للاستزادة راجع:
W. F. Ogburn, & M.F. Nimkoff. Handbook of vociology routledge & Raul Ltd, London, 1953, pp. 16/ 24.

(11) أحمد كمال وآخرون، المرجع السابق، وللتوسع أكثر ارجع إلى الدكتور مصطفى الخشاب، دراسة المجتمع مكتبة الانجلو المصرية 1927 من ص 94 -95.
وكذلك كلوكهون في:
G. Kluckhon &.W.H. Kelly: the concept of culture, the science of man in world crisis, R linton, ed. New York, 1945. pp. 378. 105.

الإنجليزي يمارس عمله بنفس الطريقة التي يمارس بها الطبيب العربي أو الأمريكي، لأن الطب داخل في جملة العلوم، والعلوم عالمية، أي لا تختلف من بلد إلى بلد وإن اختلفت اللغات، بل إنك تستطيع القول ان المهندسين فيما بينهم والأطباء فيما بينهم يتكلمون لغة واحدة، وإن استعمل كل منهم لغة بلاده.

أما الفن فعلى خلاف ذلك ولنأخذ منه فرعاً واحداً هو الأدب، فنجد أنه يختلف في كل بلد عنه في البلد الآخر من ناحية اللغة المستعملة والموضوعات التي يدور عليها الكلام، والأصول الفنية لكتابة الأدب، سواء كان شعراً أم نثراً، وحتى إذا كان البلدان يستعملان لغة واحدة ويتبعان تقليداً واحداً في التعبير الأدبي، فإن الإنتاج الأدبي لا بد أنه يختلف من بلد لبلد بحسب مزاج أهله وذوقهم الأدبي وطبيعة الأديب نفسه، فالأدب كله شخصي ومحلي في الذوق والروح، وإن تشابهت الموضوعات التي يطرحها الناظمون والناثرون.

ولما كانت العلوم عالمية فهي تدخل في نطاق الحضارة، لأن الحضارة، وخاصة في أيامنا هذه، عالمية. فالقواعد النظرية والعملية فيها واحدة، ثم أن الحضارة في يومنا هذا ـ وهي حضارة علمية وتقدمية ـ تقوم في النهاية على أساس اقتصادي يعتمد على المكسب والخسارة، والاقتصاد يخلو من الجوانب الإنسانية، لأنه يقوم على أرقام، أما الأدب فيدخل في جملة الفنون، لأن الفنون محلية وشخصية وإنسانية. ومن الفنون ما يدخل في نطاق الحضارة ومن ثم فهي علوم فنون، كالهندسة المعمارية وتخطيط المدن وكل ما يعطي المنشآت والصناعات هيئة فنية مثل التزيين المعماري المعروف بالديكور، والرسم الخارجي للسيارة وأجهزة الراديو والتلفزيون، ولكن الأدب والموسيقى والتصوير مثلاً فنون صرفة وهي تعبير عن فكرة وشخصية معينة، وهي لهذا تدخل في نطاق ما يسمى بالثقافة.

فالثقافة إذن هي ثمرة كل نشاط إنساني محلي نابع من البيئة ومعبر عنها أو مواصل لتقاليدها في هذا الميدان أو ذاك، فالشعر الإنجليزي والموسيقى كلها مظاهر ثقافية، لأنها تعبر عن الطبيعة الإنجليزية وطبيعة منشئيها، وكذلك الحال بالنسبة للأدب العربي والموسيقى العربية والتصوير العربي، ومع أن مصر والعراق

والمغرب تتكلم اللغة العربية وتراثها الأدبي في جملته واحد ـ وهو تراث الشعر العربي كله ـ فإن الشاعر العراقي مثلاً إذا كان صادقاً في إحساسه وتعبيره يعبر بطريقة عراقية، وألفاظه العربية التي يستعملها لها مذاق عراقي وموسيقى هذه البلاد كلها موسيقى عربية، ولكن الفرق بعيد بين الموسيقى العراقية والمصرية والمغربية، وكذلك الحال في التصوير.

وكلما كانت الظاهرة الحضارية أكثر التصاقاً بطبيعة البلد الذي قامت فيه فهي ثقافة. فقد تتشابه المدن العربية في هندستها ونظامها وتخطيطها، لأنها اليوم تنشأ على أساس ومفهوم علميين محددين قائمين على علوم الهندسة الغربية الحديثة، ولكن القرية المصرية تختلف كل الاختلاف عن القرية السورية أو العربية السعودية أو السودانية أو المغربية لأن القرى ترثها أجيال القرويين واحداً بعد واحد منذ مئات السنين، بل الفلاحون يحافظون عليها كما هي لا عن حرص على المحافظة على أشكالها، بل لأنهم لا يعرفون في الإنشاء إلا طريقة واحدة، فإذا أرادوا تجديد بيت هدموه ثم أقاموه بنفس الطريقة الأولى، لأن القرى كلها لا تمتد إليها يد التغيير فيما عدا ما هو ضروري ولا غنى عنه مثل استبدال مصابيح الكهرباء بمصابيح الغاز أو الزيت، وإدخال الإسمنت المسلح في الإنشاء وإدخال آلات الطحين وحلج القطن وعصر الزيتون الحديثة، وهذه لا تغير من هيئة الحياة في القرية شيئاً ذا بال، لأن القروي إذا عاد إلى بيته ليتناول طعامه يأكل نفس الأصناف التي يأكلها أبوه وجده مصنوعة بنفس الطريقة، ويتبع في الأكل طريقتهم، ففي كثير من القرى يأكل الرجل أو الرجل وابنه الأكبر أولاً، ثم تأكل بقية الأسرة معاً، ولا يزال هذا التقليد مرعياً في هذه القرى إلى اليوم. فهذه ـ أياً كان رأينا فيها ـ ثقافة أو جزء من ثقافة هذه القرى نشأت فيها من مئات السنين استجابة لمفهومات خاصة عند القرويين، ولا سبيل إلى تعديلها. وهذه المفهومات ربما كانت معروفة وربما لم تكن معروفة أو مفهومة ولكن القرويين يتبعونها كما هي دون تغيير، لأنها جزء من نظام حياتهم كلها، وهم لا يرضون بالتخلي عنها[12]. وفي سياق آخر يضيف المؤلف «أن الحضارة

(12) حسين مؤنس، الحضارة، عالم المعرفة، الكويت (بدون تاريخ) ص 361 -363.

- كما قلنا في بداية هذا الفصل - هي ثمرة أي مجهود يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته على وجه الأرض مادياً أو معنوياً، وإذن فمقياس الحضارة هو مدى ذلك التحسن مادياً ومعنوياً.

ومن الواضح أن التحسن المعنوي مقدم على التحسن المادي، لأن الغاية القصوى للتحسين هي شعور الإنسان بالأمان والاطمئنان والكفاية وقيام مجتمعه على التفاهم والتعاون والمحبة، بدلاً من قيامه على التحايل والأنانية والقانون الذي تنفذه قوة غالبة.

والأمان يشمل الأمن على النفس والمال والأهل والوطن وكل ما يهم - ومن يهم - الفرد أن يكون في أمان.

وأما الاطمئنان فهو شعور داخلي بالبعد عن الأخطار والآلام، واطمئنان الإنسان على رزقه ومصدر هذا الرزق وعلى حياته العائلية والقومية.

وأما الكفاية فهي شعور الإنسان بأن لديه ما يكفيه مما يحتاج إليه أو يطمح إليه أياً كان هذا الذي يكفيه، فإذا كان الإنسان في المدينة مثلاً يحتاج إلى نصف متر مكعب من الماء في اليوم فهذه كفايته. وإذا كان البدوي في الصحراء يحتاج إلى ربع هذه الكمية فهذه هي كفايته، وإذا كان الشاب في ألمانيا مثلاً يشعر بأن كفايته المالية تتحقق إذا هو أصبح عاملاً ماهراً متخصصاً Specialised Skilled Worker فهذه هي كفايته، لأن ذلك الطراز من الشبان في ألمانيا يستطيعون عن طريق مهاراتهم وتخصصهم كسب المال الذي يمكنهم من العيش في المستوى الطيب كما يتصورونه بعيداً عن أخطار التعطل والحاجة وقلة المال وفي مقابل ذلك تعني الكفاية بالنسبة للشباب العربي الحصول على درجة جامعية تكفل له مركزاً اجتماعياً محترماً وقدراً معقولاً من الراتب وتفتح له أبواب الزيادة في الرزق بحد أدنى من العمل، فهذه كفايته.

والكفاية تشمل الماديات كما تشمل المعنويات، فالبيت الذي يتصور الفلاح أنه كاف له مشتمل على كل ما يحتاج إليه، غير البيت الذي يتصور ساكن المدينة أنه كاف له مشتمل على كل ما يحتاج إليه.

ويمكن تصور الكفاية في المعنويات كالأمان والاطمئنان والتفاهم والتعاون والمحبة، فمن الممكن مثلاً أن يتصور كل إنسان مقدار الأمان الذي يطلبه، ولا زيادة بعد في الأمن سواء في واقع الأشياء أو التصور، وكذلك الحال بالنسبة للاطمئنان والتفاهم بين الناس والتعاون والمحبة.

أما الماديات فلا حدود للكفاية للمطامح فيها، والعمدة هنا على العقل الراجح الذي يستطيع كبح الطموح المادي وإيقاف الإنسان عند الحد المعقول فيه.

فإذا نظرنا إلى الموضوع من هذه الزاوية استطعنا أن نتصور مقياساً معقولاً للمستوى الحضاري، فنقول إن الحضارات تتعاون **بحسب ما تقدمه للإنسان من الأمان والاطمئنان والكفاية والتفاهم والتعاون والمحبة.**

فقد يكون هناك مجتمع بسيط من ناحية مستواه المادي، أي أنه لم يندفع ـ أو لم تدفعه الظروف ـ في طريق الرقي المادي الذي لا نهاية له، بل نظم نفسه على نحو يتفق مع بيئته فيقنع بما فيه الكفاية من الطعام والشراب والأثاث وماعون البيت وأدوات الحياة. وقد يوفق هذا المجتمع في تحقيق مطالب الأمان والاطمئنان والكفاية والتفاهم والتعاون والمحبة. فهذا المجتمع البسيط أكثر تحضراً من مجتمع معقد سار في ميدان التقدم المادي أشواطاً بعيدة وتفتحت أمام أفراده أبواب المطالب في ميدان الكماليات والمتع واللذات أياً كان مستوى هذا المجتمع الثاني من الثروة الجماعية والفردية وأياً كانت القوى العسكرية التي يملكها[13].

إلى أن يقول في مكان آخر: «وإذا أردنا مقارنة الحضارات مقارنة صحيحة ونسبياً (وكل شيء هنا نسبي) فإننا نزنها بقدر ما تحقق له من العناصر التي **ذكرناها أو تحرمه منها أو من بعضها. أما قياس الحضارات على أساس ما لدى أهلها من أدوات الحضارة المادية أو الفنية أو الآلات وما وصلوا إليه من مستوى عال في العلوم والفنون، لأن المخترعات والمبتكرات والكماليات كثيراً** ما تكون أعباء على الإنسان وقيوداً عليه تحد من حريته وتحرمه من العيش السعيد، ولنذكر

(13) د. حسين مؤنس، المرجع السابق ذكره، ص 55.

مثلاً كيف يكد الإنسان ويسعى ليحوز السيارة والتلفاز والسجاد والأثاث الغالي وما إلى ذلك مما يزيد أعباء الإنسان المالية ويبعد عنه إمكانات الأمان والاطمئنان»[14].

هذا إذن ما يتعلق بمفهوم الحضارة أما ما يتعلق بمفهوم التحضر فهو يعني العملية التي تتم بها الزيادة في أعداد السكان بما في ذلك عملية تحول الحياة الريفية إلى حياة حضرية، أي تحول مجتمع ريفي ـ له بناؤه المتميز ـ إلى مجتمع حضري ذي خصوصيات كثيرة عن المجتمع الأول، وعن المجتمع الريفي يقول أحد الباحثين العرب «ولعل طبيعة الاجتماع الحضري الذي تم بتكاثر الناس وتجمعهم في حيز مكاني محدد هو الذي أدى إلى نشأة المدن، فهذا الاجتماع الحضري هو العامل الأول لنمو الحضارة لمواجهة حاجات الناس المتعددة. ومن الملاحظ أن فجر الحضارة هو في ذات الوقت فجر التحضر، كما أن الحضارة لا تقوم ـ في الغالب ـ إلا في رحاب المدن، فحيث حياة التحضر يكون توفير الجو لنمو العلاقات والتفاعلات الاجتماعية بما يعمل على إقامة بنيان حضاري معين يتصف بأساليب جديدة في الحياة، وهكذا تأخذ التغييرات في أنماط حياة الإنسان مجراها. وقد ساعدت الثورات الاجتماعية المختلفة والتي بدأت بالثورة الزراعية ثم الثورة التجارية والحرفية ثم الثورة الصناعية، على نشأة الحضر وعلى النمو الحضري المستمر»[15]. إلى أن يقول في مكان آخر: «والتحضر: هو ـ كما بيّنا ـ العملية التي تتم بها هذه الزيادة وتحول نمط الحياة من النمط الريفي إلى النمط الحضري.

وينظر إلى التحضر على أنه عملية من عمليات التغير الاجتماعي يتم عن طريقها انتقال أهل الريف إلى المدن واكتسابهم تدريجياً أنماط الحضر، ويحدث التكيف الحضاري إذا ما اكتسبوا أنماط الحضر. وقد يحدث هذا التكيف الحضاري أو أن أساليب الحضارة قد غزت ريفاً معيناً بما ينتج عنه امتصاص

(14) د. حسين مؤنس المرجع السابق ذكره ص 57.

(15) راجع ذلك بالتفصيل في الفصل الأول من كتاب المؤلف: التعريب بين المبدأ والتطبيق، مرجع سبق ذكره.

سكان هذه المنطقة الريفية لأنماط أهل الحضر. هذا وقد ساعد ارتباط الحضر الحديث بالتصنيع إلى هجرة أهل الريف إلى هذا الحضر الصناعي. وكان تعدد أساليب الاتصال بين الريف والحضر عاملاً مساعداً على نقل كثير من أنماط الحضر إلى الريف.

والمجتمع الحضري: بهذا هو مجتمع متحضر: أي مجتمع آخذ في مظاهر حياته بسرعة معينة في تغيراته نتيجة لعوامل معينة، حيث تجد عوامل التنظيم وأساليب الثقافة المختلفة من نواحي ايديولوجية فكرية، وتكنولوجية صناعية وسائلها في تحقيق أهدافها، ويساعد تركيب الحضر الاجتماعي على انتشار وارتباط هذه النواحي بحياة السكان فيه»[16].

إن التحليل الذي أوردناه في السابق، ينسحب في بعض جوانبه على الحضارة بالمعنى الفرنسي والإنجليزي والأمريكي الذي لا يفرق بوضوح بين الحضارة والثقافة.. إلا أن ما يتعين علينا إضافته هنا، هو علاقة اللغة بالحضارة بالمعنى الألماني، لكلمة الحضارة.. كما حددناها آنفاً.. وهنا يتعلق الأمر بالجانب العلمي، والتكنولوجي، والتقدم المادي للمجتمع، علماً بأن هذه الجوانب المنفصلة منهجياً لا تكاد تنفصل في الحياة العملية نظراً لارتباط الثقافة (الجانب الفكري) بالحضارة (الجانب المادي) أو الثقافة المادية (كما يسميها البعض) فكل جانب يؤثر في الآخر تأثيراً مباشراً، ومن ثمة لا بد أن تكون للغة علاقة بالحضارة، لا تختلف عن علاقتها بالثقافة، وما دامت الثقافات واللغات مختلفة فالحضارات هي الأخرى تتسم ببعض الطوابع التي تميزها، عن غيرها على اعتبار أن للثقافة القومية تأثيراً في الحضارة. كما أن للثقافة القومية تأثيراً في اللغة، والعكس صحيح[17].

ومن وجوه هذا الترابط بين اللغة والثقافة والحضارة هو: العلم والتكنولوجيا فالعلم هو المعرفة، ومن هنا هو أحد العناصر الأساسية للثقافة

---

(16) أحمد كمال، وآخرون، نفس المرجع السابق ص. 29 -30.

(17) أحمد كمال، وآخرون، نفس المرجع السابق ص. 31 -32.

(. . .) أما التكنولوجيا فهي تطبيق للعلم في مجالات الحياة المختلفة، وبمعنى آخر فالتكنولوجيا هي تجسيد للنظريات العلمية في الواقع المعيش بما يجعلها تعود بالفائدة على المجتمع الذي يخترع أفراده تلك النظريات ويطبقها في الواقع، ومن هنا يقال: إن العلم والتكنولوجيا توأمان لصيقان، إلا أن هذا التحديد معياري إلى حد بعيد، حيث ينطبق على ما هو كائن في البلدان المتقدمة تكنولوجياً (المتحضرة) وما يجب أن يكون في بلداننا المتخلفة، التي إن وجد لديها استعداد للعلم لا توجد لديها تكنولوجيا متقدمة، وهو ما يضطرها إلى استيراد تلك التكنولوجيا من الخارج، وهنا يحدث عدم الانسجام الحضاري بين العلم والثقافة من جهة وبين الحضارة (أو الجانب المادي من الثقافة) من جهة أخرى. .

والحضارة الحقيقية ـ كما نعلم ـ هي كل لا يتجزأ بين العلم والتطبيق، والعلم كما رأينا هو عنصر أساسي في الثقافة، كما هو الخلفية الضرورية للتكنولوجيا أو (الحضارة) فنتج عن ذلك أنه لا يوجد حضارة أصيلة في المجتمع إلا باللغة القومية التي تعبر عن أفكار وثقافة هذا المجتمع وإن ما يحدث في الوقت الحاضر في البلدان العربية، من ازدواجية وصراع بين الثقافة الأصيلة، والحضارة المستوردة (التكنولوجيا) يجعل شخصية هذه البلدان مخلخلة كما يجعل ثقافتها غير مكتملة العناصر، وهو أكبر حائل دون تحقيق تقدم حضاري، يرقى إلى مستوى الحضارات، التي حققتها المجتمعات المتقدمة في عصرنا الحاضر، على أساس الانسجام الكامل، بين اللغة والثقافة، والحضارة. .

وإذا كانت المرحلة الاقتصادية، والحضارية الآنية التي تجتازها البلدان العربية التي حتمت عليها استيراد التكنولوجيا، من البلدان المتحضرة للنهوض بالصناعة التي تمثل أس الأساس في الاقتصاد الوطني. . فإن ذلك لن يخرج البلدان العربية من دائرة التبعية الحضارية والثقافية لتلك البلدان الأجنبية التي تستورد منها العلم والتكنولوجيا مصحوبة بلغة، وثقافة تلك البلدان.

وعلى هذا الأساس يتوجب على الدول العربية التخطيط المستقبلي (في التصنيع والتحضر) ليتعدى الاستيراد الجاهز إلى مرحلة الخلق والإبداع الذاتي، لتلك الآلات والأجهزة العلمية وإضافة اختراعات جديدة تحسب للحضارة

العربية في رصيد الحضارة العالمية التي تتعدى الحدود الوطنية والقومية، وتجتاز القارات والمحيطات، وهو ما لا يتم للعرب إلا بلغتهم وفي مناخ ثقافتهم الأصيلة ذات التاريخ المديد، وذلك لأن الرقي الثقافي والحضاري، لأي مجتمع من المجتمعات في العالم، لا يتحقق بمعزل عن الرقي اللغوي، الذي ينمو ويتطور فيه وبه فكر الأفراد وتتفتق مداركهم وتنتج عن ذلك العبقريات في مختلف ميادين الحياة، الفكرية والمادية، **وتتوازى حضارة الشعر والأدب، مع حضارة العلم والتكنولوجيا، ليكتمل الإنسان العربي، ويشفى من مرض انفصام الشخصية الذي ألم به من جراء الذبذبة القائمة بين اللغة والثقافة، والحضارة، أو بين الفكر، والعاطفة، والواقع**.. فلا شك أن الصينيين ـ قديماً وحديثاً ـ لم تتفتق عبقريتهم إلا في مناخ الثقافة الصينية، ولا اليابانيين، ولا الاغريق ولا الرومان. ولا الفرس، ولا العرب، ولا الأوروبيين إلا في مناخ ثقافتهم (واللغة والثقافة عنصران متكاملان، ومترابطان) ولولا عملية التعريب الكبرى التي أدت إلى الازدهار **اللغوي والثقافي، في عهد الخلفاء الأمويين والعباسيين في المشرق والمغرب، والأندلس**.. ما وجدت الحضارة العربية ـ في التاريخ ـ على ما عرفت عليه من رقي في جميع المجالات.. لأن المخترعات والفنون، والصناعات التي أتت بها تلك الحضارة وتميزت بها، كانت ستنتسب إلى الحضارات والثقافات التي ينتسب إليها المخترعون بلغاتهم، فرساً كانوا أو هنوداً أو تركاً أو فراعنة، أو امازيغ أو اسباناً.. غير أن التعريب جعل من هؤلاء العباقرة عرباً لغةً وثقافة (وذلك هو أصل العروبة الوحيد، والأساسي كما بينا في كتابات أخرى، حيث رأينا أن العروبة ليست في وحدة العرق، وإنما هي في وحدة اللغة وما ينتج عن ذلك من وحدة الفكر والثقافة والتاريخ..).

فلو فرضنا اليوم أن أحد العلماء العرب ـ وهو أمر غير مستبعد الحدوث ـ قد اخترع شيئاً من الأشياء الحضارية في أمريكا أو فرنسا أو ألمانيا.. فإن هذا الاختراع لا يحسب أبداً للحضارة العربية، وإنما سيحسب لحضارة البلد الذي تم الاختراع بلغته، وفي مناخ ثقافته على الرغم من أن المخترع هو فرد عربي الثقافة في الأصل، وهذا يلاحظ بكل وضوح في أعمال الفضاء التي يتبارى فيها الاتحاد

السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية، فإن كل الاختراعات التي تمت في هذا المجال قد شارك في ابداعها علماء ألمان وهنود، وعرب.. إلى جانب العلماء الروس، والأمريكان.. ولكن لم تحسب هذه الاختراعات في تاريخ الحضارة المعاصرة إلا للحضارة الروسية، والحضارة الأمريكية، لأنها تمت في مناخ الثقافة الروسية ولغتها ومناخ الثقافة الأمريكية ولغتها..

ومن المؤكد أنه لم يحدث لأية أمة في التاريخ أن أبدعت واخترعت، وشيدت حضارة راقية بغير لغتها القومية وفي مناخ ثقافتها الأصيلة. ولذلك فلا يمكن في الوقت الحاضر للأمة العربية أن تسترجع أصالتها في الاختراع والتقدم التكنولوجي إلا بالتعريب الكامل والترجمة العلمية للوصول باللغة العربية إلى مستوى التعبير عن كل المجالات الحضارية التي يعرفها عصرنا، وتواكب التطورات التي ستعرفها العصور القادمة.. وهو ما من شأنه أن يطبع التقدم الحضاري (التكنولوجي) للأمة العربية بالطابع العربي الخاص به، وبذلك يساهم العرب في تشييد الحضارة العربية، ويضيفون مما لديهم إلى رصيد الحضارة العالمية مثلما كانوا قديماً يأخذون من حضارات الأمم ويعطونها في المقابل الكثير مما أنتجوه من حضارة راقية ما تزال معالمها شاهدة على أصالتهم إلى الآن. وفي هذا الخصوص يقول أحد الساسة العرب: «.. وكيف نتمتع بشخصيتنا العربية، ونفرض وجودنا كشعب، إن لم نتحرر من عادة التعبير باللغة الأجنبية، تلك اللغة التي هيمنت على تفكيرنا عهداً طويلاً وتعرقل طموحنا الطبيعي إلى البروز إلى العالم بابتكارات أصيلة، وفي حلتنا الخاصة بنا..» إلى أن يقول في مكان آخر: «إن طموحنا نحن الذين اضطهدت لغتنا في عقر دارها ليس أن نسترجع لغتنا القومية لتأخذ مكانها في جامعاتنا ومعاهدنا فقط، ولكن أن نطور هذه اللغة ونثريها لنجعل منها بحق لغة علم وعمل، لغة ترقى إلى مستوى متطلبات العصر وتساهم في إثراء الحضارة الإنسانية في كل المجالات. إن اللغة يجب أن ترتبط بالتطور المادي للمجتمع، ولقد عرفت اللغة العربية مرحلة انحطاطها يوم أن دخلت الحضارة العربية الإسلامية مرحلة الركود والتخلف..»[18] وهكذا نتبين

(18) خطب الرئيس الراحل هواري بومدين، الجزء 3 ص 172 أنظر خطابه الافتتاحي لندوة التعريب =

مدى الترابط بين الحضارة من جهة واللغة من جهة أخرى. فحيثما تقوى الأولى تزدهر الثانية، والعكس صحيح، غير أن الأقوال ليست دائماً مطابقة للأفعال والأعمال، حيث إن الرياح قد تجري بما لا تشتهي السفن الشراعية!!

ومن أكبر الأخطاء، أن نعتقد بأنه يمكن استيراد الحضارة من الخارج بلغاتها الأصيلة، ونغرسها في تُربتنا العربية، فالتكنولوجيا ليست إلا الجانب الاستهلاكي من الحضارة، أما الجانب الخلاق، فهو العلم الذي أنتج تلك التكنولوجيا، فذلك العلم هو الذي يجب أن يوجد في الواقع العربي، وهو لا يوجد إلا بعملية التعريب التي تمكن اللغة العربية من الازدهار ومواكبة التطور الحضاري الذي يقتضيه العيش في القرن الحالي (...) وفي هذا المعنى يقول أحد المثقفين الجزائريين: «إن الأساس العلمي الذي انتهت إليه الدراسات.. العلمية والنفسية واللغوية أثبتت أن العلم لا يمكن أن يفهم وأن ينتشر إلاّ في نطاق اللغة الأصيلة.. والعلماء الكبار وحدهم هم الذين يحتاجون إلى اللغة الأجنبية لإثماء بحوثهم ودراساتهم، أما الذين دونهم فلا يدركون المعرفة العلمية إلاّ بلغتهم الأصيلة..»[19].

ولعل أبرز الأمثلة التي يمكن الاستدلال بها في هذا المجال هي اليابان ونذكرها هنا هذه الحادثة (الدالة) التي يرويها لنا أحد الكتاب العرب في سياق حديثه عن التقدم الفكري والتقدم المادي الذي يجب أن تسير فيه الشعوب والأمم بكيفية متوازنة ومتكاملة لتشييد الحضارات الراقية دون أن يطغى جانب على جانب آخر.. فتختل الأمور (...) يقول أحمد بهاء الدين: «.. منذ أكثر من عشرين عاماً تعرفت على الملحق الصحفي الشاب بسفارة اليابان بالقاهرة وعرفت منه أنه يواظب على حضور حصص اللغة العربية، في مدرسة المنيرة الثانوية.. فدهشت وقلت له: «إن هناك وسائل أخرى أسهل لتعلم اللغة العربية بالنسبة له.. فقال لي: إنه مكلف بمهمة أخرى محددة (زيادة عن العمل

= بالجزائر العاصمة في 14- 05 -1975.

(19) د. أحمد طالب الإبراهيمي في مقال بعنوان (الثورة الثقافية والتعريب...) منشور في مجلة (الاصالة) الجزائرية عدد (17) نوفمبر 1974.

الدبلوماسي) وهي دراسة اللغة العربية دراسة دقيقة عميقة، تمكنه من أداء غاية معينة، بعد سنوات وهي: ترجمة كتاب (مقدمة ابن خلدون) (إلى اللغة اليابانية)[20] وإذا تمعنا في مغزى هذه الحادثة البسيطة نصل إلى نتيجة في غاية الأهمية في مجال بحثنا في الحضارة واللغة، وهي أن اليابان في ذلك الوقت (أي في أوائل الخمسينات) كانت خارجة لتوها من حرب ذرية مدمرة، كادت أن تقضي فيها على مجرد الحياة فضلاً عن الاقتصاد، والازدهار الحضاري والثقافي، وقد بدأت اليابان حينئذ نهضتها الصناعية من الصفر، فجعلتها في زمن قياسي مذهل، تغزو العالم أجمع بمخترعاتها التكنولوجية البديعة.. إلا أن هذه النهضة التكنولوجية لم تكن لتتم في اتجاه واحد دون الاهتمام في الوقت ذاته بالجانب اللغوي والثقافي، أي الجانب المعنوي من الحضارة (إن صح هذا التعبير) فكتاب ابن خلدون من أهم كتب التراث العربي القديم، وهو في نفس الوقت، من أمهات المراجع في علم الاجتماع في العالم كله، إذ من المعلوم أن مؤلف الكتاب هو الموجد الأول لعلم الاجتماع ذاته (...).

ولذلك لم يقل اليابانيون بالاكتفاء بقراءة مقدمة ابن خلدون بترجماتها المختلفة إلى اللغات العالمية الأخرى كالفرنسية والإنجليزية والألمانية.. وإنما رأوا ضرورة ترجمة الكتاب إلى اللغة اليابانية لتنتقل المعرفة من الخاصة، إلى عامة المثقفين اليابانيين، الذين ليس من الواجب عليهم أن يجيدوا اللغات الأجنبية لقراءة ابن خلدون، وإن كان من الحتمي عليهم أن يجيدوا لغتهم اليابانية التي يلقحونها بكل جديد لتستوعب الحضارة العالمية العصرية وتعبر عن المستحدثات من الأشياء التي يخترعها العقل الياباني كل يوم ليصدروها إلى عالمنا الاستهلاكي (...) ونحن ما نزال نعتقد بأن النهضة الصناعية لا تتحقق إلا باللغات الأجنبية، وما تزال تدرس في جامعاتنا العربية (باستثناء سوريا) كل المواد العلمية التكنولوجية بالفرنسية، في بلدان المغرب العربي، وبالإنجليزية في البلدان المشرقية، مع العلم أن أكثر من أربعين سنة مضت على تدريس العلوم الهندسية، والطب، باللغة الإنجليزية في مصر دون أن يحقق ذلك شيئاً يذكر في مجال

(20) جريدة الأهرام القاهرية 7-11-1978.

الاختراع قياساً بما حققه اليابانيون باللغة اليابانية، التي تعتبر من أصعب اللغات وأعقدها في الطباعة والتعليم. . ولكن المسألة كما أكدنا، ونؤكد، دائماً، ليست في صعوبة اللغة (لأنها إنتاج اجتماعي قابل للتطور). وإنما هي في إرادة الناطقين بهذه اللغة، فهل يفكرون في لغتهم وبلغتهم لينتجوا بها الأشياء، ويشيدوا بها الحضارة، وبعبارة أخرى ليستأنفوا المسيرة الحضارية على هذا الكوكب، أم يتكاسلون ليستهلكوا ما ينتجه غيرهم من الأشياء ويظلون ـ دائماً ـ على هامش التاريخ الحضاري للإنسانية.

ونخلص من هذا الموضوع إلى القول بأن (الثقافة) قد تعني (الحضارة) في بعض المدارس، كما قد تعني الجانب المادي أو التكنولوجي من الثقافة في مدارس أخرى (كالمدرسة الالمانية مثلاً) ويظل الموضوع غير مبتوت فيه بتاً قاطعاً وإجماعياً من كل المدارس، كما هو ملاحظ، وهو أمر أكثر من طبيعي في مثل هذه الموضوعات الهامة ذات العلاقة الصميمية بجوهر الإنسان، وبعلاقته بالكون الطبيعي وتفاعله معه من جهة، وعلاقته بأبناء جنسه وتفاعله معهم من جهة أخرى، الأمر الذي يشكل ويضمن صيرورة البقاء للنوع في بعده الإنساني المبدع (وليس الحيواني المقذع).

وإلى جانب ذلك تبقى اللغة هي الأداة الوحيدة ذات الحضور الفعال بين الثقافة والحضارة، كما حاولنا تبيانه ببعض الأمثلة والشواهد المأخوذة من واقع العصر.

وكمثال آخر على تخبط العلماء في مسألة البت في تحديد الخيط الأبيض من الخيط الأسود الفاصل بين الثقافة والحضارة نورد هذا النص لأحد الباحثين العرب يقول فيه:

«وهكذا نرى الأخذ بالاتجاه الغالب لمفهوم الحضارة، وهو أنها تدل على **تراث المجتمع سواء في عناصره المعنوية أو المادية، إذ إن الحضارة بهذا المفهوم يكون لها دلالة القياس لمدى التغير أو التطور لأي جانب من جوانب الحياة.** وليس معنى هذا أننا لا نميز بين الجوانب الثقافية والجوانب المادية، بل الواقع أننا

ننظر في مضمون الحضارة الواحدة للجانبين معاً.

كما أننا نأخذ بمفهوم المدنية من أنها تمثل السلسلة الأخيرة من التطور الحضاري وعلى هذا تكون المدنية هي كما ذهبت إليها الانثروبولوجيا الحضارية من أنها عبارة عن فترات أو أجزاء معينة من الحضارة»[21].

وإلى أن يتغلب المفهوم الالماني للحضارة والثقافة، كل على حدة، أو تتغلب عليه مفاهيم المدارس الأخرى... نحاول نحن العرب المنتمين (نظرياً على الأقل) لحضارة وثقافة كانت متميزة (ونريدها أن تظل كذلك) أن يكون لنا وجود على وجه الأرض في الجانب الفكري والجانب المادي للثقافة (أو الحضارة) وليطلق عليها الأجانب أي اسم يريدون ـ مؤقتاً ـ في انتظار الاستقرار والاجماع، ولا يهمنا نقص الأسماء إذا كانت المسميات (الحضارية العربية) موجودة، ولا تغنينا كثرة الأسماء إذا كانت المسميات (الحضارية العربية) مفقودة.

فاختراع المسميات يجعلنا متبوعين دائماً من الغير، والاكتفاء باختراع الأسماء يبقينا تابعين دوماً للغير، والحضارة إما تابع وإما متبوع، وبينهما أنصاف وأشباه أنصاف يقفون بين هذا وذاك، في انتظار تفرغ التاريخ من تسجيل إنجاز الحضارات للأمم والشعوب الحية.

---

(21) د. / أحمد كمال وآخرون، نفس المرجع السابق ص: 28.